

(١٠١) سورة القارعة

في رهاب العسرة الكريمة

سورة عظيمة مكية آياتها إحدى عشرة نزلت بعد سورة قريش تتحدث عن القيامة وأحوالها وشدائدها، كخروج الناس من القبور، وانتشارها كالفراش المتطاير هنا وهناك، يجيئون ويذهبون على غير نظام من شدة الفزع والحيرة، كما تتحدث عن نسف الجبال وتطايرها حتى تصبح كالصوف المتطاير.

ختمت السورة الكريمة بذكر الموازين التي تزن أعمال الناس، وانقسام الناس إلى سعداء وأشقياء.

وسميت بسورة القارعة، لأنها تفرع القلوب والأسماع والأفئدة بهولها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

معاني المفردات:

القارعة: القيامة	كالفراش: ما يطير ويتهافت من النار
المبثوث: المتفرق المنتشر	كالعهن: كالصوف المصبوغ ألوانا
المنفوش: المفرق بالأصابع ونحوها	ثقلت: رجحت
فأمة: فمأواه ومسكنه	هاوية: الطبقة السابعة من النار

التفسير:

تبدأ السورة الكريمة بقول الله عز وجل ﴿ الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ أي يوم القيامة

وأى شيء هي؟ إنها من الفظاعة بحيث لا يدركها خيال ولا يبلغها وهم إنسان فهي أعظم من أن توصف أو تصور ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ أى شيء أعلمك ما شأن القارعة في هولها على النفوس؟ إنها لا تفرغ القلوب فحسب بل تؤثر في الأجرام العظيمة فتؤثر في السموات بالانشقاق وفي الأرض بالزلزلة، وفي الجبال بالدك والنسف قال أبو السعود سميت القيامة قارعة لأنها تفرغ القلوب والأسماع لفنون الأهوال والأفزع ووضع الظاهر موضع الضمير ﴿ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ تأكيد لهولها ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾؟ بيان خروجها عن دائرة علوم الخلق، بحيث لا تكاد تنالها دراية أحد^(١). وبعد هذا التخويف والتشويق إلى معرفة شيء من أهوالها، جاء التوضيح والبيان بقوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ أى ذلك يحدث عندما يخرج الناس من قبورهم فزعين، كأنهم فراش متفرق منتشر هنا وهناك، يوج بعضهم في بعض من شدة الفرع والحيرة ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ هذا هو الوصف الثاني من صفات ذلك اليوم المهول أى وتصير الجبال كالصوف المنتشر المتطاير في الجو حتى تكون كالصوف المتطاير عند قيامها قال الصاوى: وإنما جمع بين حال الناس وحال الجبال، تسيها على أن تلك القارعة أثرت في الجبال العظيمة الصلبة حتى تصير كالصوف المنفوش مع كونها غير مكلفة، فكيف حال الإنسان الضعيف المقصود بالتكليف والحساب^(٢) ثم ذكر حالة الناس في ذلك اليوم وانقسامهم إلى شقى وسعيد. ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ أى رجحت موازين حسناته وزادت على سيئاته ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ أى فهو في عيش هنئ رغيد سعيد في جنات الخلد والنعيم ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ أى نقصت حسناته عن سيئاته، أو لم يكن له حسنات يعتد بها ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ أى فمسكنه ومصيره نار جهنم يهوى في قعرها سماها أما لأن الأم مأوى الولد ومفرغه، فنار جهنم تؤوى هؤلاء المجرمين كما يأوى الأولاد إلى أمهم، وتضمهم إليها كما تضم الأم الأولاد إليها قال أبو السعود: "هاوية" اسم من أسماء النار، سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها، روى أن أهل النار يهونون فيها سبعين خريفاً^(٣) ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ

(١) أبو السعود ٢٨١/٥.

(٢) حاشية الصاوى ٣٤٧/٤.

(٣) تفسير أبى السعود ٢٨٢/٥.

مَا هِيَ؟ استفهام للتفحيم والتهويل أى وما أعلمك ما الهاوية؟ ثم فسرها بقوله ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ أى هى نار شديدة الحرارة، قد خرجت عن الحد المعهود فإن حرارة أى نار إذا سمرت وألقى فيها أعظم الوقود لا تعادل نار جهنم، أجارنا الله منها بفضله وكرمه.

الإعراب:

<p>القارعة مبتدأ مرفوع بالضممة الظاهرة، ما اسم استفهام للتعظيم فى محل رفع مبتدأ ثان، القارعة خبر المبتدأ الثانى وجملة المبتدأ الثانى وخبره فى محل رفع خبر المبتدأ الأول جملة اسمية والرباط هو إعادة المبتدأ بلفظه.</p>	<p>أَلْقَارِعَةُ ﴿ مَا أَلْقَارِعَةُ</p>
<p>الواو عاطفة، ما اسم استفهام للتعظيم فى محل رفع مبتدأ وجملة أدراك جملة فعلية فى محل رفع خبر، وجملة ما القارعة فى محل نصب مفعول أدراك الثانى والثالث لأن أدرى تنصب ثلاثة مفاعيل.</p>	<p>وَمَا أَدْرَاكَ مَا أَلْقَارِعَةُ</p>
<p>يوم ظرف منصوب بمضمر دلت عليه القارعة، يكون مضارع مرفوع، الناس اسم يكون مرفوع كالفراش جار ومجرور فى محل رفع خبر يكون المبتدأ نعت مجرور وجملة يكون الناس فى محل جر بالإضافة للظرف ويجوز أن تكون "يكون" تامة والناس فاعل وكالفراش فى محل نصب حال.</p>	<p>يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْتُوثِ</p>
<p>الآية معطوفة على ماسبق وينفس الإعراب.</p>	<p>وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ</p>
<p>الفاء تفرعية، وأما حرف شرط وتفصيل، من اسم موصول فى محل رفع مبتدأ وجملة ثقلت موازينه صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، فهو الفاء رابطة لما فى الموصول من معنى الشرط، هو مبتدأ ثان، فى عيشة خبر المبتدأ الثانى وضميره فى محل رفع خبر المبتدأ الأول.</p>	<p>فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ</p>

الآية معطوفة على الآية السابقة، أمه مبتدأ، هاوية خبر مرفوع والجملة في محل رفع خبر من.	وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٥٠﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ
الواو عاطفة، ما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، أدراك هي الخبر جملة فعلية، وماهية المفعول الثاني والثالث لأدراك.	وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ
نار خبر لمبتدأ محذوف تقديره هي وحامية نعت مرفوع.	نَارٌ حَامِيَةٌ

من ألوان البلاغة

- لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها:
- التشبيه المرسل المجل في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ حيث ذكرت أداة التشبيه وحذف وجه الشبه ومثله قوله تعالى ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ أي في تطايرها وخفة سيرها.
 - المجاز العقلي في قوله تعالى ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ أي راض بها صاحبها فيه إسناد مجازي.
 - الاستفهام في قوله تعالى ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ وكذلك في قوله تعالى ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ﴾ والغرض من الاستفهام التفتيح والتحويل.
 - وضع الظاهر مكان المضمرة في قوله تعالى ﴿الْقَارِعَةُ﴾ ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ وذلك للتخويف والتحويل والأصل أن يقال القارعة ما هي.
 - المقابلة بين قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ وبين قوله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾.
 - الاحتباك وهو أن يحذف من كل نظير ما أثبتته في الأمر في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ حيث حذف من الأولى "فأما الجنة" وذكر فيها عيشة راضية وحذف في الثانية "فهو في عيشة ساخطة" فأمه هاوية" فحذف من كل نظير ما أثبتته في الأمر وهو من المحسنات البديعة.
 - السجع الجميل غير المتكلف في السورة كلها.